همس الساعة

للدكتور عزيز فهمى

تَعُدّ الثوانىَ همساً ونفضا
وتزحفُ زحفاً وتنبض نبضاً (١)
وتدنى البعيدَ وتُقصى القريبَ
وتجمعُ شملا وتُبعِد أرضا
توارثها الناسُ جيلا لجيلا
وشكّلها من توالى وقضّا (٢)
تصوّرها البعضُ فى عين هِرّة
إذا الهِرّ ثبّت جفناً وغضّا
ولولا الأهلّةُ لم تعدُ عنها
مواقيتُ للناسِ والحجّ تُقضَى
إذا الشمسُ خلفَ الغيومِ توارتْ
هداكَ سناها ولم تألُ حضّا
تُوحّدُ بينَ اللغاتِ وتُفضِى
إلى أهليهنّ بما هوَ أفضَى
تُبشّر صبًّا بوصلِ الحبيب
فتُحيى الشبابَ الذى كانَ غضّا
ومِن عجبٍ أنْ يبينَ الجمادُ
وينطق جهراً ويُمعن خفضا
تُبين وتُفصحُ فى صمتها
فتوجِبُ فرضاً وتُسقِطُ فرضا
وتهمسُ : ما فاتَ ودّعته
فشيّعتَ حيناً وفارقتَ بعضا !
وهيهاتَ يرجعُ ما قد مضى
وهيهاتَ يقبلُ حكمى نقضا
أتعرِضُ عنّى لتسمعَ لغواً
وتأتى من الناسِ نوكَى (٣) ومرضَى؟

ومعظمهم لو علمتَ دَعِىّ
يُريكَ الودادَ ويُضمِرُ بُغضا
سواىَ يُرائيكَ فى مَحضَرٍ
ويفريكَ - إنْ غبتَ - غمزاً وعضّا
وغيرى يبثّكَ ما تشتهى
ويهزأ منكَ إذا هوَ أغضى
أنا الوقتُ أُملى (١) على عادتى
وفتكى مِن فتكةِ السيفِ أمضى
فإنْ شئتَ بادرْ إلى عزمةٍ
فعزمى يكادُ يُسلّ ويُنضَى
وخلّ المقاديرَ تجرى المدى
ودَعْ ما يريبك ما دامَ غمضا
تنبّه ! تنبه ... ولا ترجئنْ
إلى الغدِ وانهضْ لأمرك نهضا
غدٌ موعدُ العاجزينَ ووهمٌ
تمنّيكَ إنْ رُمتَ للريحِ قبضا
غدٌ - لو علمتَ - غيوبٌ فعجّلْ
وبادرْ لعلّك فى الغدِ ترضَى
ستندمُ بعدَ فواتِ الأوانِ
وتجنى الأمانىَ صاباً وغضّا
حذارِ ، حذارِ ولا تلحنى
فكمْ قد بذلتُ لكِ النصحَ محضا
وأنذرتُ حتى مللتَ النذيرَ
ولولا ملالُكَ ما عادَ مضّا
ولو قد أصختَ لقيتَ الحتوفَ
بدرعٍ يصدّ فيزدادُ ومضا
تضنّ بفلسٍ ضنينَ الشحيحِ
وتسرفُ فى العمرِ جهلاً وفوضى
فيا للضلالِ ! تضنّ بدونٍ ...
وترخصُ كنزاً وجاهاً وعرضا !

عزيز فهمى

(١) النفض : الحركة والاضطراب .
(٢) سنها وثبتها .
(٣) حمق .

(١) أمهل .